كلمة تحفيزية لاحتلال طرابلس شهر ديسمبر 1911 في قاعة مسرح سكالا الشهيرة بميلانو بإيطاليا من السياسي والمحامي : ARTURO VECCHINI

أمام ملك إيطاليا ونخبة من المسؤولين يوم 7 ديسمبر 1911


ARTURO VECCHINI

Per la Gesta di Tripoli

Discorso tenuto il 7 Dicembre 1911
:: al Teatro della Scala in Milano ::
per la CROCE ROSSA

أرتورو فيكيني:

خطاب بعنوان: لأعمال طرابلس

خطاب ألقاه في 7 ديسمبر 1911

في مسرح سكالا بميلانو

نص الكلمة:

صاحب السمو الملكي، سيداتي، سادتي، على البحر، المُضاء بأربعة براكين، والمُبتسم بمئة خليج، والمُزين بألف مدينة، كان ملتقى ثلاثة

أعراق، ومياه عذبة لثلاثة أديان، وطريقًا ملكيًا لثلاث حضارات؛ على مـرأى من سرت، التي شهدت رؤوسها صدام مقدمات سـفن رومـا ذات المنقـار مع السفن الخمسية القرطاجية، وصدام سفن القراصنة مع سفن فرسـان مالطا، والمبارزة الخطيرة التي اسـتمرت قرونًـا بين هلال محمـد وصـليب المسيح؛ —التي عـبرت مياههـا أسـاطيل الملـوك المغاربـة المبحـرة نحـو غرناطة ومرسيليا، —وسفن البندقية وجنوة التي كانت تتحرك مع الملـوك الأبطال الـذين اسـتعادوا الأرض المقدسـة؛ —ومن بين ظلالهـا، في خضـم معـارك لا تقـل عن عواصـف الـدوامات، مـرت أشـباح المجـد، هانيبـال وسـكيبيو، وسـيلا وميثريـداتس، وقيصـر ودون جـون النمسـاوي، وشـارل الخـامس ونـابليون، وماركـانتونيو كولونـا وأنـدريا دوريـا —زهـرة الجنس البشري وزهرة الأسطورة البطولية والفروسية؛ — على البحـر الـذي كـان لنـا، يُخيمـون — بـأعلامهم على صـواريهم، مُحـررة للريـاح، ورؤوسـهم — السفن، التي هزمت أسـطول العـدو ظاهريًـا، أخضـعت المدينـة المُقاومـة ببرق مدافعها، ثابتة على الماء، يقظة كالمنارات، حامية كروح الوطن.

تحت سـماء القمـر، — مقابـل رمـال الصـحراء اللامتناهيـة، الـتي تُرسـل ومضـاتٍ كالمـاس، — في الصـمت، لا يلمسـها إلا حفيـف أشـجار النخيـل المتمايلـة خلفهـا في الواحـة الخضـراء الواسـعة، — بـالقرب من آبـار بـو ميليان:

— في أول يقظة للخنادق — يقف البحارة الشباب

؛ قليلون، قليلو الخـبرة في مـوس هيت، نزلـوا بجـرأة قبـل أن تحاصـرهم غالبية القوات الشقيقة وتتبعهم، مندفعين بفـارغ الصـبر إلى الانتظـار، إلى المعركة، إلى الموت.

كم عددهم؟ أي رعد من الجحافل الهاربة سـيغمر العـدد القليـل؟ يقـودهم قائـد أشـقر، ذو وجـه شـاحب حـاد، ألقت عينـاه بتحـدٍّ شـهم لمنحـدرات روفينتزوري المنيعة، إلى أبو الهـول الأبيض في القطب، والآن يرميـه مـرة أخرى تحت سماء الشرق الحارقة. - هم أيضًا، الشباب، الـذين نشـأوا على شواطئ البحر المزدوج، حيث لا تزال أغاني الربيـع تتفتح على شـفاههم، - المراهقون، تتألق خدودهم المنحنية ببساطة وهدوء، فالبي، ابن فادا، الذي على غليان الفجر، يمتدون هم أيضًا، روحًا إلى المجهول.

لمن تفتخر الجماهير بالقوة؟ لمن هؤلاء الشباب المفتونون بالشجاعة؟

إنهم قوة إيطاليا وشجاعة إيطاليا.

عبر البحار، - من البيوت المتواضعة ومن القصـور النبلاء، - من أي مكـان، حيث تئن أو ترتجـف صـرخة ألم صـامتة، - قلـق محمـوم من الـترقب، - شعور صادق بالفخر. - من ميلانو العظيمـة هـذه، حيث ينبض قلب الـوطن

بسـخاء وقـوة. - وإليكم في الأراضـي القاسـية، تحيـاتي وبركـاتي، - أيهـا الضعفاء، أيها الأبناء، - على الدماء والإيمان الذي منحتمونـا إيـاه وتمنحونـه لنا!

إيطاليا؟ أليست إيطاليا، المقبرة، حيث تُشـيد النقـوش المتآكلـة بـالموتى؟ أليســت هي الجــدول المســتنقعي، حيث تنمــو الأشــجار حزينــة وتتســلل الشــمس الشــاحبة من خلالهــا؟ أو، على الأكــثر، أليســت أرض القصــائد والأزهار، والأقواس العظيمة المهدمة والمتاحف المفتوحة لكسل الأجانب؟

حقًا، بعد أنفاس وشعلة الثورة التحريرية. - تغـذّينا بقـرون من الاستشـهاد، وأضـاءتنا جـرأة فكريـة رائعـة، انبثقت كمثـالٍ مُبـدعٍ يزدهـر، شـعرنا فجـأةً تقريبًا، من حولنا وفي داخلنا، بتغيرٍ في المـزاج. كـأن وهج النصـر يتصـاعد من حولنا، وبدا لنا أن حياة الشعب الجديد ستكون دفعةً واحـدةً شـراراتٍ، اهتزازًا أحمرًا من الطاقة في توترٍ دائم. كان علينا بدلًا من ذلك أن نكـرس أنفسنا للعمل البارد والصبور في تشكيل أو تعديل الكائنات الحية الخاصـة، والموافقة على القوانين الأساسية للدولة، وخلق قوى جديدة وتـأديب تلـك الموجودة. كان علينا القيام بكـل شـيء: اسـتعادة مـوارد الخزانـة، وتنظيم العمل، وإحياء الصـناعات، وتنشـيط التجـارة، وتوفـير الجحافـل والأسـلحة والمدارس للشعب الجديد، ومنح أوروبا أمـان الحكمـة السياسـية، وإعـادة ربـط تقاليـد السـلالة القديمـة بمتطلبـات الحيـاة الحديثـة، ودمج مواقـف وتواريخ شعبنا، المتنوعة والغنية، في حياة وتاريخ مشتركين، وخلـق ضـمير مدني في كل فرد وفي الجميع، تلك الروح الوطنية، التي هي شكل وزهرة الاندماج الكامل.

كانت مهمة بطيئة، وكثيراً مـا قادتنـا إلى الانحـراف أو الوقـوع في خيبـات الأمل؛ سعينا إلى مواساة أنفسنا، معتقدين أن الأعمال المنجزة قـد ولّـدت في أرواحنـا إرهاقـاً وحاجـة إلى الراحـة. ولكن عنـدما بـدا البطء مفرطًـا، والحكمة التي لا حدود لها، وحل المشكلات الأساسية دون إعاقة من خلال البحث المفرط عن التسويات، نهضنا، قضاة في أغلب الأحيان أكثر قسـوة مما تسمح به العدالة، مع هذا التواطؤ إلى روحنا، الـتي غالبًـا مـا تبـدو في تناقض مع ذاتها.

في نهاية المطاف، فإن الروح الإيطالية، وإن خضعت لصـقلٍ مختلـفٍ على سندان الزمن، إلا أنها في جوهرها الأعمق حـافظت (وهـذا ليس حلمًـا من الأحلام، بــل وثيقــة تاريخيــة) على الختم الــذي طبعتــه عليهــا الحضــارة الرومانية.

الآبـاء، الـذين نظّمـوا القـوة وركزوهـا في الدولـة، الـذين رسـموا معـالم المسرح وعملوا من خلالها، جاعلاً القـانون والإمبراطوريـة عـالميين. وبنـاة الواقـع بالسـيف والقـانون، رسـموا في جميـع أنحـاء العـالم، بكـل معـنى

الكلمـة، ولكـل مسـافة، مسـارات الإنسـانية الأبديـة، وزرعـوا في ضـمائر البشرية بذرة تلك العقليـة، الإيجابيـة والمثاليـة، الـتي تفـرعت، بمغـامرات متنوعة، في خضرة متنوعة، من جذعها القديم الذي لا يتغـير. مـع سـقوط الإمبراطوريـة - في عصـرٍ عاصـفٍ بالشـعوب والأحـداث - غـرس المـزيج السلتي السـلافي في دمائنـا ذلـك العنصـر المريـر والمنعش من الأجنـاس البربرية - الذي انبثق منه ذلك الشعور الفردي.

ماو الأول، الذي انبثقت منه التيارات المسيحية بفضائل وحقائق الروح.

لكن الكثـير من رون: ان بقي في بنائنـا العضـوي، في انضـباطات الفكـر والعمـل المتناغمـة، لدرجـة أننـا - حـتى في العصـور المظلمـة - عززنـا التماسك الجدلي للكاثوليكية في "خلاصة تومـاس"، وألقينـا نحـو الشـمس قبـاب الرخـام المسـننة والكنـائس الذهبيـة، الـتي رحّبت بآلهـة الأرض والسماء.

في شفق العصور الوسطى الأخير. دانتي، ضـميرنا البطـولي، شـامخًا، في شـعر مـدني وإنسـاني، - كطـيران النسـور المحلقـة - جميـع مُثُـل الجنس البشري.

وأعلن عن عصر النهضة واستهله.

احتفلوا بالتمجيد؛ غريسـي، بشخصـيته العنيفـة، - احتفـالٌ بهيجٌ بالجمـال، - إمبراطورية الإرادة النشطة، - فوضى العادات، - تقديسٌ مُرْهَقٌ للأشـكال، - تحذيرٌ مُتشـكِّكٌ من أسـباب الدولـة. - غـرس عصـر النهضـة في نفوسـنا غليانًا مُتَوَتِّرًا، ينبثق منه نظامٌ جديد. - لكنـه عبَّر أيضًـا عن العالميـة الثالثـة لتاريخنا مع ليوناردو وبوناروتي، - مع غاليليو وبرونو، - مُعطيًا الناس صـورًا للجمال الأسمى، - مُقرِّبًا الإنسان من مصادر الطبيعـة المقدسـة، - مُـدركًا العوالم والنجوم اللانهائية والمُتكاثرة.

وهكـذا، وكمـا انطبعت في بـداياتها، ومـع ازديـاد تعقيـد تطوراتهـا، واجهت نفسيتنا، شديدة الحساسية والشك، وخيالية وتأملية، ورشيقة في تكيفاتها، وشغوفة بهـدفها، وعنيـدة في عملهـا، ورصـينة أخلاقيـاً وموضـوعياً، وغنيـة بالحكمة العملية، ومتحمسة للمثاليات، ظروف الحياة الجديدة.

وفي الخمسين عاماً الماضية، وثّقت (مهما بدت المظاهر المخالفة والنقـد اللاذع الذي اعتدنا على توجيهه لأنفسنا) استمرار ما هو الأكـثر تمـيزاً ونبلاً في التراث اللاتيني: حس التوازن وممارسته.

في نصف قرن (وهي فترة طويلة للإنسان، لكنهـا قصـيرة للشـعوب) نمت قوتنا بشكل مثير للإعجاب. وثمرة كل طاقتنا: - في كل ما يرضـي: الحيـاة المدنية؛ - في كل الأنشطة التي تـؤدي إلى الـثروة؛ - في جميـع متطلبـات الثقافـة والحيـاة الروحيـة والطقوسـية. ارتجلنـا، - بجهـد جبـار - مُـرهقين

أنفسنا بأثقـل عبء ضـرائب تحمّلتـه الشـعوب المتحضـرة على الإطلاق، - نظامًـا كـاملًا من الإدارات والقـوانين، من سـكك حديديـة ومـدارس، من أسواق دولية وعناية إنسانية.

في المدن التاريخية، في مدن المجـد والجمـال، وضـعنا الـورش الـتي تعجّ بالعمل الجبار، ومواقـع البنـاء الجريئـة للمبـاني الرائعـة، تحت اختبـار قـوة أغنى الشعوب وأكثرها خبرة.

ولكن، - على نحـوٍ فريـد - كشـفنا عن أصـلنا العريـق في عـالم السياسـة والروح.

لم نكن نعتبر كل حرية أداةً مناسبةً في أيدينا فحسب، بل كنـا نسـتخدمها، كسكينٍ مصقول، في المبارزة والهجوم، بـل في الإصـلاح الاجتمـاعي، في ثـوران السـماوات العظيم، الـذي يغـزو السـاحة مطالبًا بنصـيبٍ أكـبر من الشمس، حتى مع بعض التجاوزات التي تولدت عن تجارب قلـة الخـبرة أو الاندفاع، سعينا وحققنا قدرًا كبيرًا من العدالة لدرجة أن البرجوازيـة، الـتي أظهرت نفسها، كمـا هي، منتجـةً لا تكـل، لا جشـعةً ولا عميـاءً في تقاسـم الثروة، لم ترَ حقوقها تتضاءل عند دفع الفائدة، ولم يتجاوز العامل حـدوده. دليلٌ على ذلك التوازن، الذي يمنع شـعبنا من أن يكونـوا يعقوبـيين، أو، إن كانوا كذلك، رينيين كحقيقةٍ اسـتثنائيةٍ وقصـيرة الأمـد. —لكن حيثُ بـرزت العبقرية الرومانيـة من جديـد في هـذه الحقيقـة العظيمـة: أننـا، في دولـةٍ ناشـئة، وبين شـعبٍ جديـد، تعايشـنا بحريـةٍ تامـة: البابويـة، والملكيـة، والكومونـة، أي القـوى الـتي تبـدو الأكـثر عدائيـة: الإمبرياليـة المحافظـة، والعفوية الديمقراطية، والملكية الوطنية والليبرالية.

"في دراساتنا للثقافة الرفيعة، حافظنا على اتصالٍ بكـل حكمـة أوروبـا، — مقدرين بالقدر المناسب، مستفيدين من جميع القيم الفكرية، مع التمسـك بالمفهوم الكلاسـيكي للحيـاة، وبالمنهجيـة العلميـة لأسـلافنا الأكـثر جـرأة. أليسوا منّا، المخـترع المتواضـع والقـوي للجهـاز الصـغير والبسـيط، الـذي انبثق منه التطور الهائـل في توزيـع التيـارات الكهربائيـة اليـوم؟ — بـاحث السماء، فيلسوف وشـاعر في آنٍ واحـد، الـذي من أعـالي مرصـد ميلانـو، راقب حياة عالم نجمي، وأسس النظرية الرياضية لحركة أسـراب الشـهب بربطها بمدارات المذنبات؟

— الشاب الهادئ والمتحمس، الذي، إذ ربط السماء بـالأرض، رفـع سـيفه عالياً ليضرب النجوم، ويجعل الكلمة تنبض وتقفز فوق السهول الصحراوية وأمواج البحار؟

أليس المغني لنا، — مفعماً بالرومانسية، شـامخاً، رجوليـاً، مهيبـاً — الـذي — يسـتذكر السـلالة القديمـة وحيـوات السـلالة العديـدة، — وبخهـا بزئـير

الأسد في ساعات الاضطراب، — وأثارها بلهيب حريق خامل في ساعات التجديد، — واحتفل بها، — عندما أدركتها الروح النبوية ناضجة وصاعدة، — في الذكريات، في رعاية، في الأمجاد؟ آه، ليس الوطن حقيرًا!

كما قلتَها في نوبةِ كربٍ في الأيام الخوالي، - ليس حقيرًا، كما ستقوله اليوم يا شاعر! ولن تُؤكد بعد الآن أن الماضي وحده هو الصحيح، وحده الماضي هو العظيم، بل - وأنتَ تغرسُ علم غاريبالدي مرةً أخرى على الأسوار - ستُغني يا إينوتريو عن شريان الحياة الجديد للحضارة الذي يتدفق عبر الأغصان إلى إيطاليا الثالثة، - النصر القديم الذي يُخلّد أسماء القادة المنتصرين الجدد على الدرع اللامع!

الشاعر - الذي حمل الشعلة - بينما بدا وكأنه يُطلق برئتين مفتوحتين حسيات الجمال الوحيدة، وفي تلك التي تُثير وتُفكك خفة الحركة الرائعة لإنسان القرن السادس عشر - قد ارتقى إلى رؤية الحياة المُرعبة، وفي الرمز البطولي قد نبل الأرواح. - لم يعد، في مواجهة ملحمة سقوط دوغالي، المصطفين في المذبحة، يردد التجديف الحزين - الأسوأ من السخرية - "أربعمائة وحشي ماتوا بوحشية": - بل في أنشودة السلاح والفرح يتردد صدى صوت البحار، الذي ينتشر عبر البحر من السفن المحصنة العظيمة، التي رفعت جناح التاريخ الجديد لإيطاليا.

نعم، من أجل التاريخ الجديد لإيطاليا!

لا يعيش الشعب فقط في دائرة أنانيته الداخلية، ولا تتنفس الأمة فقط داخل حدود أراضيها؛ بل تعيش أينما يكشف التاريخ عن مؤامراته المتعددة، وحيثما تتطلب حاجة مادية أو مثالية الدفاع عن المصالح أو الحقوق، وحيثما يفرض نداء الشرف أو الحضارة رفع الراية عالياً في الشمس.

وقد فهمنا ذلك عندما شرعنا في تنظيم جيش، - الذي جمع معًا التراث المجيد لأولئك المولودين من دمائنا، - لأكثر من ٣٠٠ عام من النضال من أجل المذابح والملك، من أجل الحرية والوطن، من جيريسولي إلى ستافاردا، من تورين إلى أسيتا، من سيريا إلى غويتو، من بيسكييرا إلى سان مارتينو، متألقين بنور أسلحة المحرر، جاعلين من أنفسهم أبطالاً في توحيد الأخلاق، ورمزاً للانضباط والقوة، ليُمثلوا في نظر الشعب إيطاليا "آمنة داخل حدودها، مُدافعة عن حقوقها في العالم".

فهمنا ذلك عندما انطلقنا لتسليح أسطول يُذكر الملاح القديم، مُحاطاً بمياه نائمة، يتوقون من شواطئ كويسي إلى المساحات المفتوحة، نادين: أن نسوره هي التي تبسط أجنحتها من غولون هرقل إلى بونتوس بوسينوس؛ هي القوة والحق اللذان وحدا، تحت إمبراطورية روما، أحفاده. أولئك

الفينيقيون، أولئك اليونـانيون، أولئـك المصـريون، أولئـك الروديـون، الـذين سنّوا قوانين للتجارة البحرية؛ وادي سو®، الوديان المنتصرة، الـتي حملت عـبر أراضـي الشـرق شـعبًا من التجـار، والمحـاربين، والفنـانين ليُظهـروا المعجزات، ويؤسسوا المراكـز التجاريـة والمسـتعمرات، ويحصـدوا المجـد والثروة. لقد فهمنا ذلك عنـدما اسـتدعينا الأسـطول، المُجهّـز بكـل براعـة، ليُعلن ويُهيئ إيطاليا خارج حدودها، مُبشّرًا وحارسًا لمصيرنا عـبر امتـدادات مينيوس حيث يتكشف الاقتصاد البشري بأكمله بشـكل أكـثر ثمـارًا، وأكـثر كثافة، وأسرع، والحضارة - كفجر من بين الأمواج - تشتعل بروعة أوسع.

وسط ضجيج متهور - ضد سوء موهبة أولئك الذين، لتهدئة السخط، تكهنـوا بعبء التضـحيات الـتي يفرضـها كـل عمـل عظيم - شـكّلنا أقـوى وأنقى منظمات الأمة، مُطلقين أنفسنا عـبر الأراضـي وبحـار فارنـا وجيشـنا - في الحرب والسلم، جميلين، فُروسًا، أقوياء.

لماذا، مع هذه القوة، مـا زلنـا نفتقـر إلى مـا هـو أهم لأرواح الشـعوب من غذاء الجسد؟ الإيمان بأنفسنا، اليقين الهادئ بقيمتنا؟

لأن الضمير والقوة لم يتقدما فينا بنفس الوتيرة.

وُلدت من فضيلة الثورة العظيمة، ولكن أيضًـا بتعـاون ومسـاعدة الآخـرين روي، لقد برز كظلٍّ للحركات وقلل من الجرأة.) . المناطق لاحقًـا، عنـدما اهتمت فرنسا. بسياسـتنا العذريـة المتمثلـة في الأصـفاد النظيفـة، — ب) راي التحضير غير الكافي للأسلحة، و DONE LOI

Solamento - عقدنا تحالفـاتٍ كـانت بغيضـة. مشـاعر وذكريـات العصـور الأخيرة. أوضحها الوقت، — لم تكن ولا مفيدة، — ضـرورية: لكن الأليـاف اللازمة للأمن اكتسبت خرج بذلك القليل

من القتال.

عندما، — لحقت بأذى في العالم، رفضت من أجل السلام أعمال القيـادة، مقارنة الهدف لم تساعد،

من الشعب، إنه هو x قصير iva إلى لقد مرت بضـعة أشـهر ورجـل دولـة هناك المزيد من Dea

استقال بتواضع «كل أولئك الـذين يحبـون وطنهم PEGI: ible، من لبعض الوقت لتشتيت انتباههم؛ قدر الإمكان، السياسة الخارجية."

ولا حتى البيزنطيين: حتى تخيلات الرجولة! تاو

إذن إيطاليا، - إيطاليا الشابة، - التي شعرت بدمٍ صحيٍّ ومندفعٍ ينبض في نبضاتها، - كانت تكمن في تونسي: (التي بدتً أنها تسود بلا حدود: في شكل النزعة، التي بدت وكأنها تتخلى عن احترام نفسها والآخرين.

في بدايات حمايتنا الدنيئة، التي قيدتنا متأملين فيما كان يحدث - فكرنا في تجربة طرق جديدة

إنها تقدم منافع الغد، دكتور ساتا هوس السيادة، غير الكافي الواعي بالوسائل، والمثابر الذي أعطانا الفشل، يجب، - الروح ؛ هم خصيان مترهلون وبيض، كان على الأجانب أن يجمعوا. إنه في عيون الموجة.

من كآبتنا، نضارة ريحنا المفتوحة، واقتصادية ليست بقدر ما كانوا يغادرون، مبتسمين، المتناغمين ومدنية، حتى الفضيلة... كقيمٍ مُحاكاة. ولكن مندهشون من كم ابتساماتنا في ذلك اليوم، على ازدهارٍ الجمال، على أمتنا، أحد المشاعر الجميلة للمرأة، أممنا، على فن فان إيف؛ جديرة أيضًا بـ مو دان سي.

*. ولكن جاء اليوم، ملذاتٌ مهذبة، من الانغماس وانقضوا علينا إنه يوم حشد بدلاً من الابتسامات، من الأناقة المُدللة، أخبرونا. جبانون أو ضد كل نوع من أنواع الإهانة الإذلال الذي يأتي من "العيش بصدق" - فعلوا - رأونا ننهض على أقدامنا، - أقوياء وحازمين، - مستعدين وشجعان، - مع الجحافل والسفن، - وعلى جباهنا علامة العرق القديم، - وفي أيدينا جميع الأدوات التي يُعدّها العلم للحضارة، - حتى تنتصر على الأرض، في البحر، في السماء...وحولها، حولها يزأر، كصوت رعد مايو.

ضمير الأمة، ضميرنا كشعب، تغلغل ببطء، خفيةً في أعماقها.

تغلغل، كزهرة أغاف عتيقة، في فيضٍ هائل من الانسجام والقوة!

يا ربيع شعبنا! يا ربيع المجد المُعاد!

قالوا إننا عبثًا ألقينا بملاييننا

في دوامات البحر، عبر خنادق ساحات العرض، فلم ننجح إلا في صنع مواكب برّاقة من الفولاذ والفضة، رأوا، كخيالٍ خيالي، — فجأةً،

— تمتلئ البحار، وتستعرض السفن الجبارة، مُخرجةً من تجاويفها آلافًا وآلافًا من الرجال المُسلّحين بالحديد، من الجرأة والشباب والقوة.

قالوا إن دعاية الجبن، والتحريض على الكراهية بين الطبقات، ستؤدي إلى تفكك قواتنا المسلحة، وتمرد الجنود على القادة والإخوة

— ينتفضون ضد إخوتي...

ولقد جاء القلائل من الفـارين بـرؤوس منحنيـة، وقلـوب مذلولـة ومتـأثرة، طـالبين، في سـاعة الخطـر، كـالعفو، الحـق في التـبرع بـدمائهم للجيش؛ توسّل الشباب غـير المجـبرين على حمـل السـلاح الرحمـة لحمـل بندقيـة أيضًـا؛ تنـافس عمـال الحقـول والمصـانع مـع الـدوقات والمـاركيزات والكونتات: من يواجه الخطر والموت أولًا؟ ووضعوا صدورهم أمـام صـدور الضباط، وتحت وابل الرصاص، انحنـوا على من سـقطوا في الـدماء برقـة الأبنـاء المتـدينين، يتجسسـون على أنفاسـهم، ويتنفسـون على شـفاههم الشاحبة كطوفان من الشباب الشافي...

قـالوا إننـا متشـككون، لا يشـغلنا إلا البطن، تهيمن علينـا قـوانين الماديـة التاريخية... نعم، كنا نشعر بألم في القلب، وقلب مثقل، وكنا نخفي حزننـا بين الابتسامات، كبطل قديم يحمل سيفه بين... يا أيتها المدن، يا قرى، يـا سـواحل إيطاليـا، يـا من في انـدفاعٍ هائـلٍ من التوسـع رحّبت بـالإخوة الـراحلين؛ يـا وئـام الأشـراف والشـعب، الكهنـة والنسـاء؛ يـا نبض القلب العظيم، القوي، الذي تـراه، الـذي ينـدفع، الـذي يرتجـف، الـذي لا ينقطـع، هناك، على الأراضـي الـتي مزقتهـا الحـرب، والـذي يُحيـط بـالإخوة كهالـةٍ مُلتهبـةٍ من الحب؛ كنتم، أنتم، روح شـعبنا، روح الأمـة، ضـمير الـوطن المُبعث.

عندما كنا بالأمس نُعلي من شـأن ذكريـات إيطاليـا، - تنتظـر في الأحلام، - تُحزن في الشـهداء، - تُقاتـل في القيامـة - صـرختم فينـا بأننـا كنـا خطبـاءً فارغين، مُهزّين مُزعجين

للغبار مشاهير...

لا: بالأمس، احتفلنا في ذاكرتنا ببزوغ فجر ديتريـا؛ - أو اليـوم نُحـيي ذكـرى ظهيرة وطننا المُشرقة بالأفعال.

ما من احتفالٍ أعظم من هذا.

بين الأكفان والدماء، - بإيمانٍ وفخر، - نُحيي الوطن الذي لا يموت.

يـا فضـاءً مقدسًـا عـذبًا، - حيث ترتجـف المهـدات الباسـمة، وتُنـير القبـور المُنذِرة: - يا أورميروم المثل الأعلى المُقـدس، حيث تُزهـر كـل حضـارة - ويرتبط الأحياء برابطٍ أبديٍّ مع الأجنة، وتُرسخ الذكريات الآمـال، - أنت حيٌّ يا وطن، حيثما يتنهد مقطعٌ عـذبٌ من لغتنـا، - حيثمـا تشـق يـدٌ خشـنةٌ من شعبنا الأرضَ القاحلة، - حيثما تُحمل روحنا، - في ظلِّ العلم الثلاثي الألوان - إرثَ الأمِّ العريقة للعالم! منذ أقدم العصـور، حين انطلقنـا من مرتفعـات البامير - كعمودٍ شاقٍّ تحت سقف السـماء - عـبر سـهول سـنار الشاسـعة، نضغط، ونصطدم، ونتداخل - في تحولاتٍ دائمة، بحثًـا عن أوطـانٍ جديـدة،

وحضاراتٍ جديدة - لم يفقد التـاريخ البشـري، بإيقـاعٍ أقـل تـواترًا وكثافـة، إيقاعه ولم يغيره.

بعد أن استخلصت أوروبا القديمة في مختبراتها مرشـحات الخـير والشـر - بعـد أن نشـرت بجهـودٍ رائعـة أرواحَ أعقـد وأروع حضـارة - بقـوة الكثافـة البشرية التي جعلتها غير قادرة على الصمود - باسم المبدأ الثـابت - الـذي يفرض علينا واجبًا وحقًا أن ننتصر لأسمى فكرةٍ وأكمل شكل، انطلقنا نحـو القارات الجديدة، ولكن عندما عارضـتها أمريكـا - بعـد قـرنين من الهيمنـة والصراع - ديمقراطياتها، المولودة من نفس... تكثفت الأجناس، وتقلصـت أوروبا، ودارت في دوامة من الطاقات الجامحة نحو اعتدال العرق القديم؛ - عندما خيّمت آسيا ضد التكتـل البشـري الهائـل، مـع خمـيرة التوالـد غـير المتوقع - لخصت الدراما - التي بدأت قبل ألفين ونصف عام - مع أفريقيا.

شهد معظم القرن الماضي مبشرين، باسم الإيمـان، ومستكشـفين باسـم العلم، على طول الأنهار العظيمة الغامضة، في قلب أبو الهول المظلم.

عادت موانئ البحر الداخلي، مفتاح الهيمنة في التاريخ القـديم، إلى أوروبـا كحاجز وحصن منيع ضد الغزوات، المحتملة مع مرور الوقت، من القــارات المكتظة بالسكان والجريئة؛ - كحصن ونقطـة مراقبـة لـدول البحـر الأبيض المتوسط.

إيطاليا فقـط، — وضـعتها الطبيعـة كرصـيف عظيم في وسـط بحرهـا، — إيطاليــا فقــط. إيطاليــا، الــتي وضــع مصــيرها خليج ســرت كركــابٍ للإمبراطوريـة، وحـدها بين فرنسـا وإنجلـترا المحتلين، لم تُهمـل الأسـباب العليا للدفاع فحسب، بل اعتبرت احتلال الآخـرين تهديـدًا وإهانـةً أيضًـا. لم تسمع صوت رونيا العظيم، الذي كان حيًا باسم الينابيع البلورية، في هياكل القنـوات المائيـة وأهـداف الحـرب؛ لم تـرَ من فـوق قمم جبـال الأطلس الغائمة الظل الهائل للفيلق المُجمّل، يُلمّح لها بالسيادة القديمـة من النيـل إلى واحات فزان؛ لم تسـتمع إلى صـرخة الغـاثونيين الـتي تُـردد بلا هـوادة "دلينـدا قرطـاجو"، مُحـذرةً من أنـه لا يمكن بنـاء أي إمبراطوريـة ضـخمة أخـرى، ولا حـتى شـعب مُحتـل، حـول إيطاليـا. وفي الآونـة الأخـيرة، في مواجهة نقيق الأقزام الأجش، الذين الثرثرة والجبن من أجل الحكمة، - لم يسـمع غاريبالـدي يـزأر، مرفوعًـا فـوق باريناتـا من الخصـر إلى الأعلى، "الموافقة على احتلال تونس هي موافقة على احتلال صقلية وكالابريا" -

لم يسـتمع إلى النـبي الشـاحب، الـذي لم يكن يـؤمن إلا بالمثـل الأعلى: "شمال إفريقيا ملك لإيطاليا: لا يكون المرء عظيمًا إلا بأداء مهـام الطبيعـة والتاريخ"؛ - لم يفهم كاتانيو، في الفعل، الدقيق والرصين كراعٍ، الذي يُجدد تعاليم الحكمة الرومانية.

ما الذي يهم إن لم تكن هذه إيطاليا الشابة، الأم الخصبة للشعب، كافيةً لابتلاع أبنائها؟ ما الذي يهم إن لم تنتقل الأراضي الشاسعة غير المزروعة غدًا إلى الحشد؟ ما الذي يهم إن امتدت من سواحل القمر مخازن الحبوب القديمة الفخمة غابات النخيل والزيتون. أراضي عذراء لقوة حرث عمالنا؟ أعطوا لـ البواخر التي تعبر المحيط الأطلسي، الجثث البشرية البائسة، تطرق أبواب الغرباء؛ تُبادل الكرامة بالمال، مُحتملةً غطرسةً متعجرفة، ناسيةً اسم الوطن ولغته، أو غريبًا بين غرباء، يتنهد من أجله في شوقٍ طويلٍ مغرورٍ وحنين. حلمٌ صغيرٌ لا طائل منه بالعودة إلى التقاليد، وتوفير الدفاعات اللازمة، ومنح أرضنا وقوانيننا لرجالنا، وفتح سبلٍ جديدة، ومسرحٍ جديدٍ للعمل من أجل الشعب، من أجل المال، من أجل عمل إيطالياً!

الحرب أمرٌ محزن، ومن غير المتحضر معارضة حضارة غيرنا، وعلى أرض غيرنا انتهاك حقوق الأمم والشعوب!

الحرب أمرٌ محزن، حتى لو كانت الروح البشرية تُرسل شراراتٍ في الاحتكاك، كما يتلألأ الحديد تحت المطرقة؛ الحرب أمرٌ محزن، حتى لو كانت كل ساعات التاريخ العظيمة، - وكأنها تُختم عظمة الحقائق بـ التضحية العظمى، - دعهم يتحولون إلى اللون الأحمر. إنه دم! - وأنا أشعر به وأفكر فيه، - أنا الذي

في فكرة مخلوقات متواضعة لا حصر لها أو سيدات عظيمات، وأيدي وقلوب منتفخة بالخالدين، حيث اللطف عذاب؛ - لا في دم. من الجرحى، يقظ على الرؤوس المنحنية لإعادة إشعال الحياة حيث الغضب يزرع مذبحة عمياء. لا يعرف أعداء إخوة. (الآلهة والآلهة) رجال صغار يعيدون تكريس الجميع آه، ليس هؤلاء الإخوة، - ولا يبكي ويصلي وبالنسبة للطبيعة! ليست حقوق الحضارة - "و" - ليست أسباب الناس البربر والبدو، العرب والأتراك، الذين في الملجأ يقتلون الأطباء والممرضات من الخلف، وينتهكون القوانين الإنسانية والإلهية، حتى القديسين يا إخوتي، يا أبنائي، مدفونون: أحياء» إلى المسلوخين المشوهين، الجرحى الغاضبين، المصبوغين سنشكر PAN على مصائرنا، جيوتو أعمى، الوطن

- ليس من أجل. أسلم دفاع؛ ليس من أجل العمل الأكثر أمانًا؛ لهؤلاء الشفقة التي

حتى الموت تُعلي من شأن المشترك ثنائي

سيدي على نطاق واسع، ليس؛ للمجد الأعظم الذي منحنا إياه استشهادك الذي لا يُوصف، لولا الوثيقة الجديدة، التي تُبرز، كإيماءات حضارية، فظاعة

المذبحــة على مــر القــرون، والــتي تكمن في اســمها © SembianZ4 SEROPAO، ولها اسم وجوهر البربرية الاحتيالية

سور من البخار: ضباب كثيف، حيث تشعر الـروح كمـا في خنـدق دانـتي - ترتجف أكثر النفوس حميمية نرتفع في طيران نحو السماء الصـافية، حيث تبتسم البطولة الخالصـة بين زهـور الزنبـق وأكاليـل الغـار، وحـتى الحـرب تُرسل تحيتها، حتى: الموت يلمع في الوجوه الشمعية، مثل صـعود مثـالي. يا أيام بو مليانة، بنغازي، سكيارا!

يا سادة، هنّي، جرأة غادرة نواة مُعدّة ضدّ جبهةٍ من رقم RI؛ غـاراتٌ هائلـةٌ حافيـةٌ عـبر ميـاه الشـاطئ المُقـترب، والبحـر العاصـف ونـيران القـذائف خلفهم!

إلى الأمام؛ كفاحٌ مُتقدٌّ، عنيدٌ، لا هـوادة فيـه، وغـدرٌ مُخبّـأٌ في الـبيوت، في الحـدائق، على رؤوس الأشـجار؛ مقاومـةٌ كـالجرانيت؛ هجمـاتٌ بـالحراب، مُلتهبةٌ بألوانٍ مُبهجة؛ معاركٌ رائعةٌ من الزخم، من انضباطٍ

قوة، وانتصـارات، انتصـارات، انتصـارات، على أرضٍ مُحتلـةٍ شاسـعة، على شراسةِ المُقاتلين الخونة، على أكوامٍ من الأعداء المُنهكين!

ويُفكّر الجنرالات في مسؤوليات خطط الحرب، والمهمـة المُرهِقـة لتنظيم الحياة والموت.

ميلا الــوطن، الشــرف، الــواجب، تجلس في أذهــانهم كمُثُــلٍ مُنعكســة، كمؤسسات الحياة.

يشعر الضباط بذلك، وهو المجد؛ يقفون في الصـفوف الأماميـة، يُراقبـون، يُرشدون، يُحرضون، يواجهون جلد الموت لكن حلم الجمال البطـولي فيهم هو زهرة شخصية تتغذى بالقدوة والدراسة.

أما الجندي، - الجندي الصغير، - الذي جاء بالأمس فقط

من بيوت متناثرة في الحقول، من مصانع الدخان، خبيرًا في العمل فقـط، والذي، في عينيه الشابتين الواسعتين، تتجول روعة الحياة، والذي لم يُربِّ أحـد في روحـه المثـل الأعلى، ربمـا حـاول الكثـيرون طمسـه؛ الجنـدي - الجندي الصغير - الذي حوّلـه إلى بطـل؟ من منحـه الحماسـة الديونيسـية، التي، دون مكافأة بطولة أو ربح، تجعله يُلقي بروحـه جانبًـا، بسـيطًا، هادئًا، مبتسمًا، كفيلسوف

هيلين، لملاقاة فوتانازيا الإلهية؟ - في أيام التحريـر، - بين صـفوف الجيش أو بالقميص الأحمر، — توافـدت البرجوازيـة والنبلاء، لكن حفنـة قليلـة من

عامة الشعب: — ومع ذلك حاربوا ضد ظلمٍ دام قرونًا، من أجل المذابح والنيران، من أجل الحرية والوطن! ما الذي يُعلي شأن جنود إيطاليا الصغار اليوم ويدفعهم للموت بفخرٍ من أجل العلم والغد، من أجل الحضارة والشرف؟ — — يجذبهم بقوةٍ لا تُقهر، ويُسكرهم بتضحيةٍ هادئة، نفس الضمير المُتجدد. ١٠ نفس روح الأمة، التي نهضت منها إيطاليا كلها، كما لو كانت في حماسةٍ دينية، شاحبةً، واقفةً، بوجهٍ واحد! آه، كم تُطهر وتُعلي، كم تُلين وتُقوي، أن تشعر بالتفاني للموت من أجل المثل الأعلى!

في ساعةِ الراحةِ المهددة، في فترةِ الراحةِ من الأعمالِ الشاقة، مع اقترابِ خطرٍ جديد، الغربانُ الصغيرة، التي زأرت في المعركةِ بمخالبِ الأسود، التي في اتصالٍ مع الرؤساءِ والرفاق كشفت عن لطف العذارى المتدينات، وكتبن كلماتٍ في بساطة بطولية وشعرٍ لا يُوصف. وفي رسائلهن - التي لا تُضاهى ببلاغة - لا يلين الشوق إلى الديار البعيدة في ركود عاطفي، بل يُركز ويُنبل في أسمى درجات الحنان الإنساني.

يا له من استسلامٍ يُسكبن أرواحهن الطفولية في أرواح الأمهات البعيدات الرقيقات المرتجفات!

يا أمهات، يا من تبكين في صمت، مُقدساتٍ بحزنٍ عظيم؛ يا أمهات، يا من تُثقلهن همومٌ مُرعبة، نشعر أن الروح الأنثوية أيضًا تسمو إلى آفاقٍ رائعة، في ليلة المجد هذه، حيث يُلوّن كل شيء ويُطبع بجمالٍ أخلاقيٍّ ساحر!

انظروا. أمام العمود الروماني المقطوع، المُقام في ميدان سيارا-سيات، - أمام الفوج المُصطف - يُعلن الكولونيل سبينيلي قائمة الموتى.

بعد كل اسم، صمت.

- وليُجيب الموتى ويرحلوا، بصوتٍ رجوليٍّ ينبض كنبض حياةٍ خالدة. "النقيب فايتيني - النقيب أومبري - الملازم أورسي - الملازم بيليني - الملازم سولارو - الملازم غرانافاي، والرقباء، والعرّابون، والجنود... كل من سقط في شبابه ومجده..." ثم، - مُسلِّلاً سيفه في الشمس. - أمام الله، - باسم الملك، - بالنيابة

قال: "باسم الوطن البعيد، - بنظري وجبهتي مُتجهة نحو العدو، - في هذا الخندق المُغتسل بدمائكم، - أُقدِّسكم رجالاً شجعانًا وأُخلِّد أسماءكم في تاريخ الفوج.

عاش الملك! أيها الرفاق الحاضرون!

انهالت الصدور، وبدا قرع الطبول وعدًا وتهديدًا. كم أتمنى أن تُنادي فرقةٌ ضخمةٌ بصوتٍ عالٍ بجميع الأسماء - الأحياء والأموات - الذين يقرؤون،

بخيوط البطولة الذهبية، حبكة هذه الساعة التاريخية! - وأنت يا فيري، أولًا وقبل كل شيء، الرائد المفكر والمدافع الكـريم، - وأنت يـا مـاريو بيـانكو، أول من وصل من البحر - وأنت يا ريكاردو غرازيولي، زنبقة نقية مقطوعة بالمحراث - وأنت يـا جـيراردو سيلفاتيتشـي، الـروح المتحديـة الفخـورة... جميعكم، أيها الدم اللاتيني اللطيف، الذي نمدّ إليه قلوبنا الحية النابضة.

يوم النصر النهائي قد امتلأ بالجنّيات.

أطلقـوا العنـان، أيهـا الأبـواق، في الشـوارع، في الصـحاري، في الأسـلحة الشـجاعة الـتي دُوّنت في طـرابلس، - لنـا بالمعركـة، - إيطاليًـا بالـدم المسفوك، - كرّسها أكثر شعوب العـالم تحضـرًا. نـادوا، يـا أبـواق، ترنيمـة الشـاعر، الـذي يُغـني عن رومـا ويُعلن أن إيطاليـا قـد اسـتيقظت؛ ترنيمـة رئيس الملائكة، الذي يرفـرف بجناحـه الأحمـر ويُحـيي المـوتى؛ - رنّت في القبر موسيقى مهيبة ملحمية، تُشير إلى إيقـاع الكتـائب وهي تتحـرك نحـو المجد وتروي حكايات الوطن والملك المختلطة.